https://doi.org/10.5339/ajsr.2022.3
المجلة العربية للبحث العلمي، 2022، 1 من 10

المجلة العربية للبحث العلمي
Arabian Journal of Scientific Research

ورقة بحثية

داء السكري يكشف التفوق الطبي للحضارة الإسلامية على الحضارات الإنسانية القديمة: دراسة تاريخية لأربعة آلاف سنة

خالد علي الربيعان[1]

[1] مركز الأبحاث والمكتب العلمي، مدينة سلطان بن عبد العزيز للخدمات الإنسانية، الرياض، المملكة العربية السعودية
Email: kalrubeaan@sbahc.org.sa *

الملخص

إن المعرفة التراكمية للإنسان، من خلال الحضارات القديمة، أوصلت البشرية إلى ما هي عليه اليوم من تفوق علمي. وبما أن الحضارات لها مراحل كالإنسان: بداوة، ثم ازدهار، فتدهور، فإن تفوق بعضها يعكس دورها في التطور الإنساني، والنضوج العلمي. وتقدّم هذه الدراسة التحليلية مقارنةً حول دور الحضارات التي عاشت منذ أربعة آلاف سنة في فهم، وتشخيص، وعلاج داء السكري الذي عُرِف بعمقه في التاريخ البشري. واختيرت ست حضارات هي: الفرعونية، والهندية، واليونانية، والرومانية، والصينية، ثم الإسلامية بهذا التتابع، وفق معايير هذه الدراسة، لرصد ما تركته هذه الحضارات من كتابات، أو مؤلفات أو آثار تدل على معرفتها بهذا المرض وطرق تعاملها معه.

وكشفت هذه الدراسة معرفة جميع هذه الحضارات بداء السكري، حيث أطلقت عليه أسماء متعددة ومختلفة، إلا أنها اتفقت جميعًا على وصف أعراض المرض، المتمثلة بالعطش الشديد، وكثرة التبول، وفقدان الوزن. في حين لاحظ بعضها وجود مادة السكر في البول، إما من خلال تجمّع النمل أو الذباب، أو من خلال طعمه الحلو، فكانت طريقة التشخيص التي استخدمها الأطباء حينها. وكان لهذه الحضارات، كالحضارة الإسلامية، تميزٌ في ربط هذا الداء بمضاعفاته ومحاولة تفسير أسبابه. وقد كان هناك تفاوت كبير بين الحضارات في طرق العلاج، وإن اتفق معظمها على الحد من الطعام، وزيادة النشاط البدني. وفي هذا السياق، تفوقت الحضارة الإسلامية تفوقًا واضحًا في عدة مجالات، أولًا تنظيم مهنة الطب، وربطها بالقيم والأخلاق، ونشر المستشفيات لعلاج المرضى؛ وثانيًا إعداد الأطباء والعلماء الذين درسوا هذا المرض ووضعوا له طرق التشخيص والعلاج؛ ثالثًا إعداد المؤلفات التي وصفت المرض وقنّنت علاجه.

وإضافة إلى ما سبق، تُبرز دراسة تاريخ داء السكري في الحضارات القديمة تفوقَ الحضارة الإسلامية على الحضارات الأخرى في تعاملها مع الإنسان، وما يحتاجه للمحافظة على الصحة، ودور المجتمع المتمثل بالعلماء والأفراد في تقديم النموذج المتميز في خدمة البشرية، والرقي العلمي المنضبط بالقيم والأخلاق التي تحكم مهنة الطب.

الكلمات المفتاحية: حضارات، التاريخ القديم، إسلامية، داء السكري، آثار.

Title

Diabetes Mellitus in six ancient civilizations across 4000 years of history: medical pioneering of Islamic civilization

Khalid Al-Rubeaan[1*]

[1] Research & Scientific Center, Sultan Bin Abdulaziz Humanitarian City, Riyadh, Kingdom of Saudi Arabia

Abstract

The human cumulative knowledge, through ancient civilizations, has brought humanity to its scientific superiority today. Since civilizations simulate human life: beginning, prosperity, degradation, therefore, the superiority of some civilizations reflects their role in human development

Received 30 May 2022; accepted 12 June 2022; published 30 June 2022.

© 2022 The Author(s), licensee HBKU Press. This is an Open Access article distributed under the terms of the Creative Comments Attribution License CC BY 4.0 (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/), which permits unrestricted use, distribution and reproduction in any medium, provided the original work is properly cited.

Cite this as: Al-Rubeaan KA. Diabetes Mellitus in six ancient civilizations across 4000 years of history: medical pioneering of Islamic civilization. Arabian Journal of Scientific Research 2022:1.3. https://doi.org/10.5339/ajsr.2022.3

and scientific maturity. This analytical study compares the role of different civilizations that have lived for 4,000 years in understanding, diagnosing and treating diabetes mellitus, which has been known to be deeply embedded in human history. In accordance to the inclusion criteria of this study, six civilizations were selected in the following chronological order: Ancient Egyptian, Indus, Greek, Roman, Chinese, and Islamic civilizations. This study derived what those civilizations have left in the form of documents, written materials or monument indicating their way in understanding and controlling this disease.
This study explores the fact that all the studied civilizations had been familiar with this disease, although they had given it different names, despite the fact that they all shared the same symptoms in the form of severe thirst, frequent urination and weight loss. Some had discovered the presence of sugar in the patients' urine, either through the ants or flies attraction to the urine, or through the urine sweet tasting, which was their way to discover this disease at that time. Some civilizations, like the Islamic one has linked the disease to its complications and have tried to explain its aetiology. At the same time there was big difference between these civilizations when it comes to their way to treatment diabetes, although most of them agreed on food restriction and increased physical activity.
The superiority of the Islamic civilization was noted through firstly, organizing medical profession and implementing medicolegal laws that would control medical ethics, as well as establishing heath institutes to treat patients (hospitals). Secondly, it graduated physicians and scientists who had studied this disease and set the diagnostic criteria and treatment for it. Thirdly, the Islamic scholars wrote reference books that describe the disease and provide the guidelines for its therapy.

Keywords: Civilizations, ancient history, Islamic, Diabetes Mellitus, monuments.

1- المقدمة

تُعرف الحضارة البشرية بأنها مجموعة من العقائد والمبادئ المُنَظِّمة للمجتمع، وتُمثّل ناتج النشاط البشري في مختلف المجالات كالعلوم، والآداب، والفنون، وما ينجم عن هذه الأنشطة من صياغة أساليب الحياة المختلفة، والأنماط السلوكيّة، والمناهج الفكريّة.[1] وقد تطوّر مصطلح الحضارة مع تعاقب العصور وتعدّدت تعريفاته، فرأى ابن خلدون أن الحضارة هي التفنّن في الترف بما يشمل الملابس، والمباني، والمطابخ، وكلّ ما يخص المنزل والأمور التابعة له. ولقد عرفنا من التاريخ أن لكل حضارة مراحل لا بد من أن تمرّ بها، فيقول ابن خلدون في **المقدمة**: «إن الدولة والتي تنعكس على الحضارة، لها أعمار طبيعية كما للأشخاص، بداوة، ثم ازدهار، فتدهور، وهذا ينطبق على الحضارات القديمة عبر العصور». فتبدأ الحضارة عندما يتبنى مجتمعٌ ما عقيدةً ينطلق منها ومناهج يلتزم بها، تصوغ أساليب الحياة، وأنماط السلوك، فينعكس ذلك على صحة المجتمع وأنماط الأمراض فيها خلال فترة ازدهارها، وكلّما طالت هذه الفترة تمكّن الإنسان من التعرف عليها وتوثيقها في تراثه وآثاره.

يصاحب داء السكري رفاهية العيش ووفرة الطعام، فنجد دلائله موثّقةً في المخطوطات والآثار التي تركتها الحضارات القديمة عند ازدهارها، وتختفي عند انهيارها. وتعكس معتقدات هذه الحضارات وثقافاتها تسميةَ المرض وتحديد أسبابه وطرق علاجه. وقد يكون لمعظم الحضارات القديمة ازدهارٌ مادي وثقافي، إلا أن القليل منها ترافق فيها هذا الازدهار المادي بسموّ عقدي كما هي الحالة في الحضارة الإسلامية، التي رفعت من قيمة الإنسان بالمحافظة على ضروراته الخمس وهي النفس، والعقل، والدين، والعرض، والمال.

وبالنظر إلى توزيع الحضارات القديمة كما في خريطة العالم القديم التي رسمها الجغرافي العربي محمد الإدريسي عام 1154م (انظر الشكل رقم 1)، يتضح أن الحضارة الفرعونية قد اقتصرت على وادي النيل في الغالب وسادت 2768 سنة، في حين قبعت الحضارة الهندية التي زامنتها 4000 سنة في بلاد السند، أما الحضارتان اليونانية والرومانية فانتشرتا في القارة الأوروبية وظهرتا معا خلال 2653 سنة، واستقرت الحضارة الصينية على طول خط قرى النهر الأصفر ونهر يانغتسي لتبقى 1865 سنة، وأخيرًا الحضارة الإسلامية التي عاشت 1300 سنة فقد امتدّت جغرافيًا عبر ثلاث قارات هي آسيا، وأفريقيا، وأوروبا، ولذلك فإنها الحضارة الوحيدة التي توسطت العالم القديم وامتدت على مساحة شاسعة من أقصى شرق العالم القديم إلى أقصى غربه، من دون أيّ انحسار.[2]

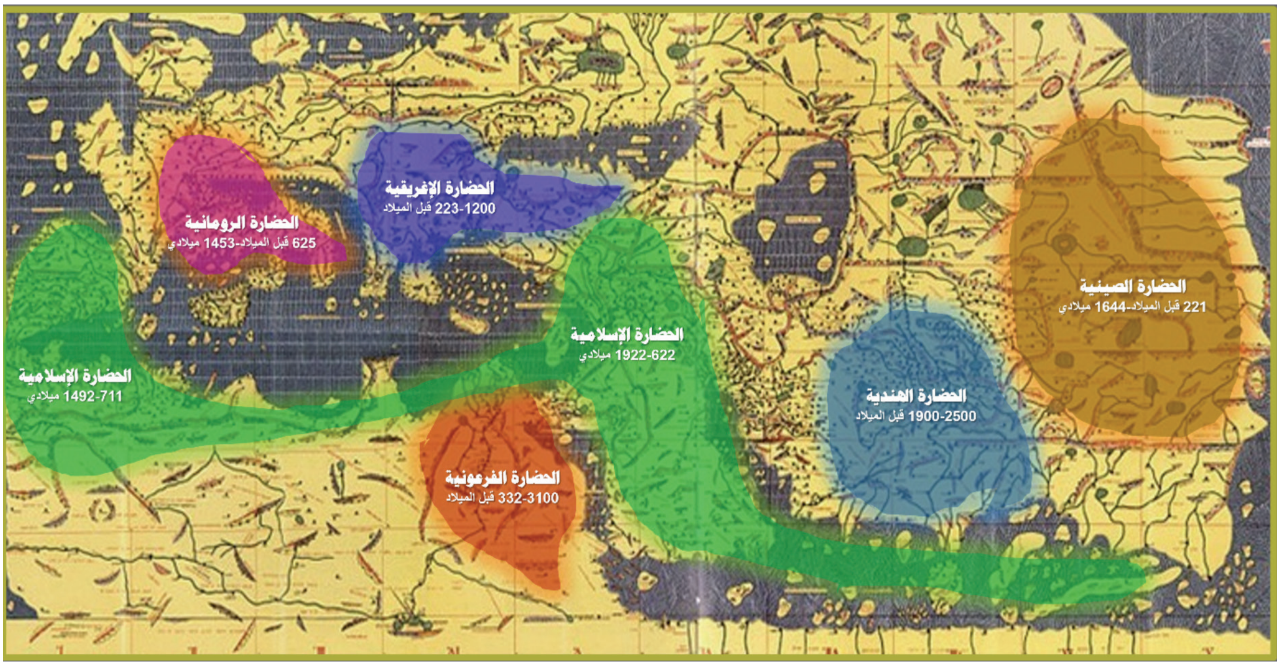

شكل 1: خريطة العالم القديم كما رسمها الجغرافي العربي محمد الإدريسي عام 1154م، وتوزيع الحضارات القديمة بحسب تواريخ سيادتها وتوثيق تاريخ داء السكري.

ويعتبر السكري من الأمراض الغارقة في القدم، حيث كشفت عنه بعض الحضارات القديمة وأطلقت عليه العديد من المسميات كما تُظهره هذه الدراسة. ويكشف المسح التاريخي لفترة أربعة آلاف سنة، والذي يشمل العديد من الحضارات والممالك، الدور الذي قدّمته كل حضارة للبشرية في فهم الأمراض وعلاجها، والذي يمكن رصده من خلال الآثار العينية أو العلمية التي أرَّثتها كل حضارة، ومدى قربها مما نعرفه عن الأمراض في وقتنا الحاضر، وخاصة السكري الذي يعدّ من الأمراض المزمنة التي يعاني المريض منها لفترة طويلة قبل أن تقضي عليه، مما يمكن الأطباء من رصده ودراسته ووصف انطباعاتهم عنه. ولا شك في أن تراكم المعرفة خلال السنوات كان الأساس لفهم العديد من الأمراض، ومنها السكري.

تسعى هذه الورقة البحثية، من خلال دراسة المؤلفات القديمة والبحوث التاريخية والآثار الموثّقة عن داء السكري، لرصد مراحل فهم هذا المرض، ودور كل حضارة في كشف أسبابه وأعراضه وتشخيصه، ومن ثم علاجه. وتحرص هذه الدراسة على الوقوف على نحو محايد تجاه كل حضارات العالم القديم، ومن ثم تحديد الحضارة ذات الدور الأبرز في تشخيص داء السكري وعلاجه.

2- طريقة الدراسة والرصد

تعتبر هذه الدراسة مراجعة تحليلية لرصد دور الحضارات القديمة في توثيق داء السكري خلال فترة تمتد لأربعة آلاف سنة؛ من ألفي سنة قبل الميلاد إلى ألفي سنة بعده، باستثناء القرن الماضي حيث اختفت الحضارات القديمة بسقوط الحضارة الإسلامية وانهيار الدولة العثمانية. وحيث إن هناك العديد من الإمبراطوريات أو الممالك التي قامت ثم زالت خلال هذه الفترة، فقد وُضعت معايير لتحديد الحضارات التي اشتملت عليها هذه الدراسة لضمان إمكانية ذكر داء السكري في تلك الحضارات حسب ما يلي: أولًا، أن تبقى الحضارة فترة زمنية تزيد على ألف سنة لضمان فترة كافية من الازدهار لظهور داء السكري فيها. ثانيًا، أن تمتلك الحضارة من الآثار ما يكفي لمعرفة ما وصلت إليه هذه الحضارة من علوم طبية. ثالثًا، أن تكون الحضارة مستقرة جغرافيًا ومعروفة الامتداد المكاني. رابعًا، أن يثبت من خلال الدراسات التاريخية والآثار المكتشفة ذكر داء السكري بوصف أعراضه، أو طرق تشخيصه، أو مضاعفاته، أو أساليب العلاج. خامسًا، توثيق وجود طبيب أو أطباء ارتبط تاريخهم بهذا الداء من خلال دراسة تراث هذه الحضارات الطبي.

استثنى تطبيق المعايير السابقة العديد من الحضارات والممالك التي عاشت خلال الفترة المختارة، وانطبقت على ست حضارات فقط هي: الفرعونية، والهندية، واليونانية، والرومانية، والصينية، والإسلامية بفرعيها الشرقي والغربي.

وبعد تحديد هذه الحضارات للدراسة، جرى مسح شامل للبحوث العلمية المحكمة والمنشورة في مجلات النشر العلمي المحكم، وكتب المخطوطات الطبية القديمة، إضافة إلى كتب التاريخ الطبي القديم، باللغة الإنجليزية، أو العربية، أو التركية، أو الفارسية. ولكون داء السكري في هذه الحضارات قد حمل العديد من الأسماء، فقد تم التعرف على هذا الداء في التراث القديم على أساس أعراضه، أو المسمى الذي أطلق عليه، أو طرق التشخيص التي استخدمتها تلك الحضارات. وبعد تحديد المادة العلمية، يتم توثيق المصدر وصياغة المادة العلمية منها صياغة دقيقة. أما بالنسبة إلى الأطباء، فقد تم رصد سِيرهم من خلال المراجع وكتب السِير ككتاب **عيون الأنباء في طبقات الأطباء** لابن أبي أصيبعة، وعُرّبت الأسماء الأعجمية حسب المتعارف عليه في المراجع العلمية العربية (انظر الشكل رقم 2).

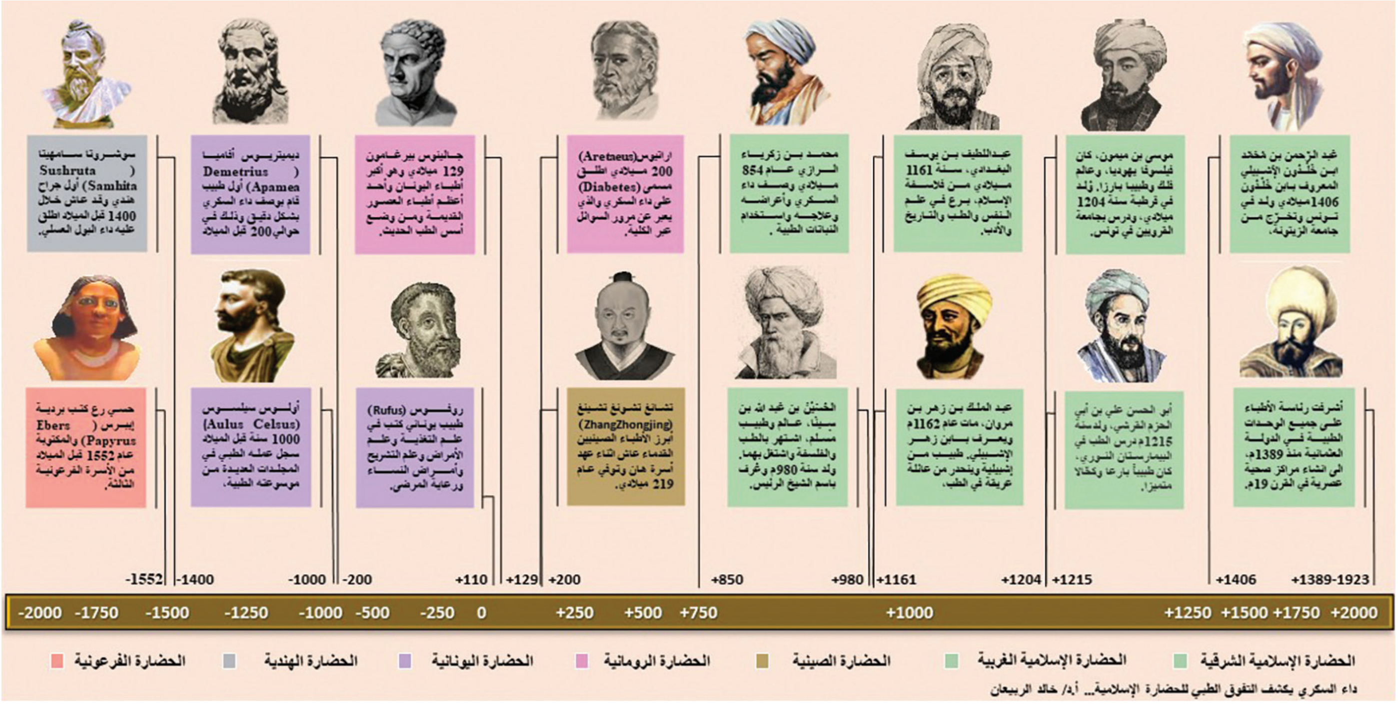

شكل 2: أهم الأطباء في الحضارات القديمة الذين وثّقوا داء السكري والفترات التي عاشوا بها خلال 4000 سنة.

وقد انعكس شُح ما كتبته هذه الحضارات من علوم طبية على قلة ما هو موجود فيها عن مرض السكري، إلا أن هذا المرض تميز بأعراض واضحة، وقليلة الحدوث في الأمراض الأخرى، إضافة الى وجود مادة السكر في البول التي سهلت التعرف عليه من خلال طعمه الحلو، أو تجمع النّمل أو الذباب حوله.

3- داء السكري في الحضارات القديمة

إن رصد ما وثقته الحضارات القديمة المختارة عن داء السكري باستخدام معايير البحث وترتيبها بحسب تسلسلها الزمني، يظهر عدم ترابط أو تزاوج

المعارف فيما بينها نتيجة تباعدها الجغرافي، عدا ما كان من الحضارة الإسلامية التي قامت بترجمة العلوم الطبية من الحضارات اليونانية والرومانية والهندية القديمة، فضلًا عن أنها امتدت جغرافيًا لتشمل مناطق الحضارات الأخرى ما جعلها تكتسب معارفها.

3-1 الحضارة الفرعونية القديمة

كانت بداية معرفة البشرية بداء السكري من خلال البرديات الفرعونية القديمة، وخصوصًا بردية إيبرس (Ebers Papyrus) التي كتبها، عام 1552 قبل الميلاد، الطبيب المصري «حسي رع» من الأسرة الثالثة. ولقد ملئت هذه البردية بالتعاويذ والتطبيقات التي تهدف إلى إبعاد الشياطين المسببة للأمراض، وتضمّنت على 877 وصفة طبية مختلفة للعديد من الأمراض، وفصول في وسائل منع الحمل التي تميزت بها الحضارة الفرعونية، بل حتى تشخيص الحمل والأمراض النسائية الأخرى. واشتملت هذه البردية على وصف لأمراض الأمعاء والطفيليات، ومشاكل العين، والجلد، وطب الأسنان، إضافة إلى العلاج الجراحي للخراجات، والأورام، وتثبيت العظام، والحروق. وتعتبر هذه البردية أكبر موسوعة طبية للحضارة الفرعونية.[3]

أطلق المصريون القدماء على داء السكري مسمى «عطش النساء»، كما ورد في بردية إيبرس، وهو الوصف الأول لهذا الداء في التاريخ. إلا أن هذه البردية التي ربطت هذا الداء بالإفراط في شرب السوائل وظاهرة كثرة التبول لم تصف طرقًا لتشخيصه، أو علاجه. وكانت هذه البردية ممزقة في المنطقة التي تكلمت فيها عن هذا الداء، وبذلك خفي علينا ما كان يعرفه الفراعنة عن هذا الداء من حيث التشخيص والعلاج.[4]

ولكون المصريين القدماء قد برعوا في علم التحنيط، فقد حُملت منذ آلاف السنين إلينا أجسادهم في توابيت، فكانت ذات قيمة علمية كبيرة، دفعت علماء الآثار والأطباء إلى دراسة ما يقع في أيديهم من مومياوات فرعونية، فكشفوا عن وجود العديد من الظواهر المَرضية. وكان لكشف إصابة بعض هذه المومياوات بداء السكري من خلال فحص تسكّر بروتينات الشعر توثيقٌ دقيق لإصابة بعض الفراعنة بالسكري. ويصدّق ذلك ما وجده العلماء عند فحص مومياء حتشبسوت، التي عاشت خلال الفترة 1508-1458 قبل الميلاد، وهي خامس فرعون في الأسرة الثامنة عشرة لمصر القديمة، حيث تشير الأدلة الطبية إلى أنها كانت تعاني من السمنة، والسكري، وتوفيت بسبب سرطان العظام الذي انتشر في جميع أنحاء جسدها وهي في الخمسينيات من عمرها.[5] كما أن فحص مومياء أخناتون الثامن عشر كشف إصابته بورم الغدة النخامية الحميد المسبب لمرض العملقة الذي يصاحبه داء السكري الثانئ.[3]

أما عن توثيق مضاعفات السكري في الحضارة الفرعونية القديمة، فقد أظهرت بقايا الهيكل العظمي لرجل من الموقع الأثري المصري في دير البرشاء الذي يعود إلى المملكة الوسطى في الفترة 2055-1650 قبل الميلاد، وجودَ اعتلال المفاصل العصبية المعروف باسم «مفصل شاركوت» (Charcot Joint) الذي غالبًا ما يكون إحدى ظواهر مضاعفات داء السكري المتمثل باعتلال الأعصاب والشرايين. كما وثقت إحدى الجداريات وفاة رجل مصري قديم يرجّح أنه في العشرينيات من عمره منذ حوالي 2900 سنة بمرض نادر وعلى نحو مفاجئ، قد يكون النوع الأول من السكري هو المسبب لذلك.[6]

3-2 الحضارة الهندية

عاشت الحضارة الهند القديمة 3700 سنة، كما دلت على ذلك الكشوفُ الأثرية في مدينتي موهونجودارو وهارّبا الأثريتين في وادي السند، الواقعتين فيما يعرف بباكستان في الوقت الحاضر. وكشفت الدراسة التاريخية امتلاك هذه الحضارة مستويات من الرقي توازي الحضارة الفرعونية التي زامنتها تاريخيًا، إلا أنها كانت محدودة الآثار مقارنةً بالحضارة الفرعونية.7 وتسمّى هذه الحضارة بثقافة هرّابا، نسبة إلى مدينة هرّابا الواقعة في وادي السند، وتسمّى في العموم حضارة وادي السند أو الحضارة السندية. وقد ربط الهنود القدماء أمراض الجسم بغضب الإله، وتطور الطب من العصر السحري الديني إلى طب الأيورفيدا الممنهج الملتزم بالمعايير الأخلاقية الصارمة، ما أنتج أطباءً ماهرين في الطب والجراحة.[8]

وقد عرف الهنود القدماء داء السكري عبر واحد من ثلاثة نصوص أسست للطب الهندي القديم المسمى بالأيورفيدا خلال القرنين الخامس والسادس قبل الميلاد. وقد أطلق أب الطب الهندي القديم سوشروتا (Sushruta) في عام 800 قبل الميلاد في مؤلفه «سوشروتا ساميتا» (*Sushruta Samhita*)، على السكري اسم (Medhumeha)؛ أي البول العسلي، وحدد المرض بنوعين هما النوع الأول والنوع الثاني من داء السكري على أنهما حالتان منفصلتان لأول مرة في التاريخ، واعتبر النوع الأول مرتبطًا بالشباب، والنوع الثاني بالسمنة. وكان الطبيب تشاراكا أحد المساهمين الرئيسيين في الأيورفيدا، وهو محرر الأطروحة الطبية بعنوان «شاراكا ساميتا» (*Charaka Samhita*)، أحد النصوص التأسيسية للطب الهندي القديم.

لاحظ الأطباء الهنود القدماء أن داء السكري يصيب، في المقام الأول، الطبقات الغنية، وهو مرتبط بالإفراط في استهلاك الغذاء مثل الأرز والحبوب والحلويات.[4] وقد وصفت هذه النصوص أعراض داء السكري بالعطش، ورائحة الفم الكريهة، والضعف العام، كما لاحظ الأطباء الهنود انجذاب النمل والذباب إلى بول المرضى المصابين بداء السكري، فكانت طريقتهم في تشخيصه.[9] أما من حيث طرق العلاج، فقد أوصى الأطباء الهنود القدماء بالنشاط البدني وتقليل الغذاء للمساعدة في علاجه.[10]

3-3 الحضارة اليونانية/ الإغريقية

شاركت الحضارة الإغريقية في كشف داء السكري من خلال الموسوعي اليوناني أولوس كورنيليوس سيلسوس (Aulus Cornelius Celsus) خلال الفترة الواقعة في 1000 سنة قبل الميلاد بعمله الطبي المميز الموجود في المجلدات العديدة من موسوعته، وهي أطروحته الشهيرة في الطب (*De Medicina*)، والمقسمة إلى ثمانية كتب شملت تاريخ الطب اليوناني، حيث تضم إشارات إلى ثمانين مؤلفًا طبيًا، احتوت على علم الأمراض، كان أحدها داء السكري. كما شملت هذه الأطروحة على علم التشريح، والأدوية، والجراحة وخصوصًا جراحة العظام. وكان هذا الطبيب أول من قدّم وصفًا سريريًا لمريض مصاب بالسكري، ووصف أعراض المرض بكثرة التبول، وقلة الإحساس بالألم، والضعف العام، وقال إن ناتج السوائل الخارجة (أي البول) أكبر من كمية ما يتناوله من السوائل. وقد وصف العلاج بنظام غذائي يحتوي على الحد الأدنى من الطعام وتغيير نمط الحياة.[11] وقد يكون أبقراط (Hippocrates) الذي عاش خلال الفترة 460-370 قبل الميلاد، اقتبس منه استخدام تعديلات نمط الحياة، كالنظام الغذائي وممارسة النشاط البدني لعلاج أمراض مثل داء السكري، وهو ما يسمى اليوم بتغيير نمط الحياة. وكثيرًا ما يقتبس عن أبقراط قوله «ليكن الطعام دواءك والدواء طعامك» وكذلك قوله «المشي هو أفضل دواء للرجل».[12]

في حين يُعتقد بأن الطبيب ديميتريوس أفاميا (Demetrius of Apamea) والذي عاش في أفاميا الشام على بعد 60 كيلومترًا عن مدينة حماة، وكانت مستعمرة يونانية آنذاك، أول من وصف هذا الداء، وذلك في الفترة الواقعة في 200 سنة قبل الميلاد، حيث لاحظ تدفق البول المفرط

لدى هؤلاء الأفراد. ويُعتقد أنه أول من أطلق كلمة «دايابيتس» (Diabetes)، وهو مصطلح يوناني مستنبط من الكلمة اليونانية (διαβαίνω) «ديابينو» التي تعبّر عن مرور السوائل عبر الكلية، تعبيرًا عن كثرة البول وتدفقه.[13] ومن الجدير بالذكر أن كتابات ديميتريوس قد ضاعت للأسف الشديد، ولعله كتب فيها طريقة التشخيص أو العلاج.

أما روفوس من أفسس (Rufus of Ephesus) فكان طبيبًا مشهورًا وصف أعراض داء السكري مثل العطش المستمر، والتبول الفوري بعد الشرب، وهو ما دعاه الى إطلاق مسمى «الإسهال البولي» عليه. وقد وصف العلاج بالتقيؤ بعد شرب الماء البارد وخلط عدة مواد، مثل «السيزون» و«بتيساني» والخضروات المطبوخة، ونصح أيضًا بالحمامات وتبريد الرأس أثناء تسخين الجسم.[14]

4-3 الحضارة الرومانية

كان الطبيب جالينوس (Galen) الذي عاش خلال الفترة 129-200م طبيبًا وجراحًا وفيلسوفًا بارزًا، شغل منصب الطبيب الشخصي للعديد من الأباطرة. وكان اهتمامه الأساسي هو علم التشريح البشري، ومن بين مساهماته الرئيسية في الطب عمله في الدورة الدموية.[10] وقام بترجمة النصوص الطبية اليونانية إلى اللاتينية ونقل آراء طبية يونانية إلى روما، حيث ذكر أن داء السكري إحساس مميز، يحدث على نحو قليل بين الرجال، وأنه هو ذوبان اللحم والأطراف في البول، وعدم توقّف المرضى عن إنتاج الماء والتدفق المستمر للبول، كما لو كان قناة مفتوحة. وأرجع سبب المرض إلى عطل في وظائف الكلى، وأكد أن حياة المريض قصيرة ومصحوبة بالآلام والعطش المفرط، فلا يرتوي من الماء، حيث لا تتناسب كمية البول الكبيرة مع الماء المشروب. ولو امتنع عن الشرب لفترة فسيصاب الجسد بالجفاف الشديد، ويصاحبها الغثيان والقلق والعطش الشديد، حيث يؤدي إلى الوفاة.[15] ويقترح جالينوس العلاج بدواء هو خليط مقدس مكون من العديد من المواد هي المستكة، والتمر، والسفرجل الخام وزيت الورد.[16]

قام الإسكندر تراليس (525-605م)، وهو أحد أشهر الأطباء وعلماء الصيدلة في العصر البيزنطي بكتابة موسوعة طبية في اثني عشر مجلدًا، تشمل العديد من الموضوعات تراوح بين الطب الباطني والجراحة وطب العيون وطب الأنف والأذن والحنجرة وأمراض النساء والصيدلة. وخصص فقرة مفصّلة لداء السكري، ذكر فيها تسمية المرض، والتعريف به، ومسبباته، والمظاهر السريرية وعلاجه، وهي اقتباسات من الطب اليوناني وما كشفه جالنيوس عن المرض.[17]

في حين درس الطبيب أراتيوس (Aretaeus)، الذي عاش في القرن الثاني الميلادي، الطب في الإسكندرية، ومارسه في روما. وركّز في الفصل الثاني من الكتاب الثاني من عمله بعنوان أسباب وأعراض الأمراض الحادة والمزمنة، على داء السكري مستخدمًا الاسم اليوناني (Diabetes) من أسلافه. وسجّل وصفًا دقيقًا لحالة المريض، وقد يكون اقتباسًا من جالينوس، كما يلي: «يعتبر مرض السكري من الآلام المروعة، ولا يتكرر كثيرًا بين الرجال، حيث يتحلل لحم الأطراف في البول، ولا يتوقف المرضى أبدًا عن إخراج البول بتدفق مستمر، كانفتاح القنوات. وتعتبر الحياة قصيرة وغير سعيدة ومؤلمة، يصاحبها عطش لا يطفأ، وشرب مفرط وغير متناسب مع كمية البول الكبيرة، فإن امتنع المرضى عن الشرب لفترة تجفّ أفواههم وأجسادهم وأحشاؤهم. ويتأثر المرضى بالغثيان والقلق والعطش الشديد، وفي غضون فترة قصيرة يموتون».[13]

5-3 الحضارة الصينية

أطلقت الحضارة الصينية مسمى «البول الحلو» على داء السكري (تانج نيو بونج) (糖尿病)، وتُرجم هذا المسمى أيضًا إلى اللغتين الكورية واليابانية. وربط الصينيون القدماء الإفراط في النظام الغذائي، وخصوصًا لدى الطبقة العليا من المجتمع، بالإصابة بداء السكري، وهذه الملاحظة تماثل ما سجّله أطباء الهند القديمة. ووصف كتاب «الأسئلة البسيطة» مريض السكري على النحو التالي: «عندما يأكل الشخص الكثير من الأطعمة الدهنية والحلوة، يُنتج الجسم الحرارة الجافة، أي من دون تعرّق، مما يتسبب في تخزينها في الجسم، وعندما يتشبع الجسم بها تؤدي إلى الإصابة بداء السكري»، وهذه محاولات لتفسير أسباب الإصابة وإن كانت لا تعبّر عن الحقيقة.18

ويعتبر الطبيب تشانغ تشونغ (Zhang Zhongjing) (ت. 219م) من أشهر الأطباء في الحضارة الصينية القديمة، ويعرف باسم «أبقراط الصينيين»، وألف كتاب «الطب القديم للإمبراطورية الصفراء» في عهد أسرة هان، ووصف داء السكري بالإفراط في الشرب والأكل. في حين أضاف الطبيب سوين، وهو أحد الأطباء الصينيين القدماء، أن السكري يتميز بكثرة التبول ووجود السكر في البول الذي يصاحبه فقد الوزن الواضح. وذكرت وثيقته «الصيغ الفعّالة من العصور القديمة حتى الوقت الحاضر»، خلال عهد أسرة سوي (Sui) في الفترة 589-618م، أن مرضى السكري يعانون من العطش المتكرر الذي يؤدي إلى الإفراط في الشرب والتبول المفرط بالبول الحلو والخالي من الدهون.

ويعتقد الصينيون القدماء أن داء السكري ينتج من التراكم المفرط للجفاف أو الحرارة داخل الجسم. وتأتي شرور الجفاف والحرارة من مصادر بيئية خارجية مثل اتباع نظام غذائي غير صحي، حيث تتحول داخليًا إلى عوامل مسببة للأمراض مثل ضرر الكلى، فتؤدي عوامل الجفاف والحرارة إلى تفاعل أعضاء معينة في الجسم على نحو سلبي، كالرئة والمعدة والكلى.[19]

وقد لاحظ الطبيب لي هسوان (Li Hsuan) في القرن السابع الميلادي أن مرضى السكري معرّضون للدمامل والتهابات الرئة، ووصف تجنّب الجنس والنبيذ علاجًا لداء السكري.[20]

6-3 الحضارة الإسلامية

قامت الحضارة الإسلامية على مبادئ دين الإسلام، وهي حضارة إنسانيّة تشمل مختلف جوانب الحياة، كما أنها حضارة ربانيّة تدعو إلى العلم. ورفعت من شأن الإنسان، واعتنت بسلوك الفرد الاجتماعي والصحي، وتفاعلت مع ثقافة الشعوب التي دخلت في دين الإسلام، واختلطت بها فأثّرت في الحضارات التي امتد إليها الإسلام أثناء فترة انتشاره وتأثّرت بها؛[21] ما أدى ذلك إلى إخراج نظريات ناجحة في العلوم الإنسانية. فسيطرت الحضارة الإسلامية على مجال العلوم منذ القرن السابع الميلادي حتى انهيار آخر خلافة إسلامية وهي الخلافة العثمانية في بداية القرن العشرين. والناظر إلى تاريخ البشرية المسجل خلال 4000 سنة يكتشف أنه لا توجد حضارة قدّمت للبشرية مثل ما قدّمته الحضارة الإسلامية، بل إن الخلافات والممالك الإسلامية المتعددة تنافست في شتى الجوانب العلمية، ومنها المجال الطبي.

1-6-3 الحضارة الإسلامية في المشرق

بدأت الحضارة الإسلامية في المشرق منذ بعثة النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – ثم الخلافة الراشدة، لتتابع الخلافات من الخلافة الأموية إلى العثمانية خلال ما يزيد على 1300 سنة. وكان لعلماء هذه الفترة في المجال الطبي السبق، سواء في فن الترجمة من الحضارات السابقة أو التأليف، أو حتى اتباع

المنهج العلمي التجريبي السليم، وكذلك السبق إلى العديد من الاكتشافات والاختراعات التي لا يزال العالم ينعم بثمارها وفوائدها حتى وصلنا إلى الطب الحديث.

ولقد أقامت هذه الحضارة المستشفيات لعلاج المرضى، منها ما كان ثابتًا في المكان الذي أقيم عليه أو متنقلًا، فكان أول مستوصف في الإسلام هو الذي أمر الرسول- صلى الله عليه وسلم - بإنشائه أثناء معركة الخندق سنة 626م على هيئة خيمة، ثم تطورت المستشفيات في العهد العباسي تطورًا كبيرًا، وتزايد عددها في حواضر العالم الإسلامي، وظهرت معاهد لتعليم الطب أُلحق بها الصيدليات. ولقد كان لمرضى داء السكري حظٌّ وافر من هذه الخدمات. وهنا أختار عينة ممن برزوا في مجال داء السكري.

• محمد بن يحيى بن زكريا الرازي

عاش خلال الفترة 864-923م، ووصفه كتاب **شمس العرب تسطع على الغرب** بأنه أعظم أطباء الإنسانية على الإطلاق، وذكر أنه لم يكن ذلك الطبيب العظيم فحسب، بل كان أيضًا أحد الأوائل الذين جعلوا من الكيمياء علمًا صحيحًا.[13] وقد ألّف الرازي كتاب **الحاوي في الطب**، الذي كان يضمُّ كل المعارف الطبية منذ أيام الإغريق حتى عام 925م، وظل المرجع الطبي الرئيسي في أوروبا لمدة 400 عام بعد ذلك التاريخ، بل بقي إلى اليوم من المراجع المهمة لتاريخ الطب.

كتب الرازي عن داء السكري وأطلق عليه اسم «الدوارة أو الدولاب» وهو ما يعرف بالناعورة، وهذا الاسم أقرب بكثير من الاسم الإغريقي «ديابيتس» لكونه يصف الظاهرة المرضية بدقة، حيث يشرب المريض من جهة ليخرج الماء من جهة أخرى. وشخّص أعراضه بكثرة التبول، وكثرة شرب الماء، وضعف البنية الجسدية. وكان على الأرجح أول من تكهّن بالعلاقة بين مرض السكري واعتلال العين. وقد ابتكر طرقًا ذكية للتشخيص، حيث قام بتشخيص داء السكري عن طريق مطالبة المريض المشتبه بإصابته بالسكري بالتبول على الرمال، فإذا تجمع النمل على بوله بعد فترة، فإن المريض مصاب بالسكري.

أما عن العلاج، فنصح الرازي باستخدام بعض العقاقير الخاصة، وتنظيم الغذاء، واستخدام بعض النباتات الطبية المتعلقة بالحمية الغذائية وممارسة الرياضة، كما نصح بالتدين والإيمان بالله، للقضاء على القلق والضغط النفسي المصاحب لداء السكري للحصول على الاسترخاء والراحة النفسية، ولعله بذلك كان أول من عرف الارتباط بين السكري والحالة النفسية التي كشفتها البحوث الطبية في القرن العشرين.[22]

• الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا

وهو المعروف بابن سينا، ولد سنة 980م. عالم وطبيب مسلم، اشتُهر بالطب، وعُرف باسم الشيخ الرئيس، وأطلق عليه الغربيون «أمير الأطباء»، وألف مئتي كتاب في موضوعات مختلفة، يركّز العديد منها على الفلسفة والطب، وأشهر أعماله في هذا الصدد كتاب **القانون في الطب**. وقد ذكر داء السكري في كتابه **القانون**، بعد أن أعاد الاسم اليوناني إليه، حيث قال «ديانيطس هو أن يخرج الماء كما يشرب في زمان قصير، ونسبة هذا المرض إلى المشروب وإلى أعضائه نسبة زلق المعدة والأمعاء إلى المطعومات، وله أسماء باليونانية غير ديانيطس، فإنه قد يقال أيضًا (دياسقومس) و(قراميس) ويسمى بالعربية (الدوارة، والدولاب، وزلق الكلية وزلق المزاج والمعبر)، وصاحبه يعطش فيشرب ولا يُروى، بل يبول كل ما يشرب غير قادر على الحبس البتة».[23]

إن هذا الاقتباس من كتابه يوضّح مدى سعة علمه واطلاعه على ما كُتب حول هذا الداء من الحضارات الأخرى، بل إن وصفه للحالة كان أكثر دقة وأبلغ وصفًا ممن سبقه من أطباء عصره أو العصور القديمة. وذكر داء السكري على أنه مرض يصيب الكلى والمسالك البولية، وقدّم وصفًا لعلاجه احتوى على اثنتين وعشرين وصفة طبية يمكن استخدامها للعلاج، وكانت اجتهادات بما تيسر من إمكانيات ذلك الوقت، وما قد يخفف من معاناة المرضى، اشتملت على تقليل الغذاء، وبعض الأطعمة، والحجامة، والحمامات الباردة تارة، والساخنة تارة أخرى. وخلص إلى أن داء السكري «مرض خبيث» يمكن أن يؤدي إلى حمى شديدة، وعدم انتظام الشهية، وفقدان الوظيفة الجنسية، والغرغرينا، والهزال، وهذه قفزة كبيرة في فهم السكري بعد أن أكدت البحوث العلمية بعد ألف سنة صدق ما خلص إليه.

• عبد اللطيف بن يوسف البغدادي

ولد في عام 1161م، وهو من فلاسفة الإسلام، برع في علم النفس والطب والتاريخ والأدب. وتيسَّر له في دمشق لقاء أئمة الطبِّ في عصره من أمثال ابن النقاش وابن المطران، وفي القاهرة القاضي أبي المنصور عبد الله الشيخ السديد، العالِم بصناعة الطبِّ والخبير بأصولها وفروعها.

وقد ألف رسالة عن داء السكري وصف فيها أعراضه السريرية، وتطرّق إلى بحث أسبابه، ومضاعفاته، وهو إنجاز كبير بالنظر إلى الحقبة الزمنية التي عاشها. وقد ساعدت هذه الرسالة في فتح الباب على مصراعيه لعلاج السكري، وظلت ذات قيمة كبيرة فترةً من الزمن. وقد قسّمها إلى ثلاثة أجزاء، الأول يحتوي على أعراض المرض من إدرار البول والعطش الشديد يصاحبها ضعف الجسم والهزال الشديد نتيجة لمرض الكلى المصاحب لداء السكري. أما الجزء الثاني فسرد فيه آراء المتقدمين عن داء السكري، وعلل أسباب المرض بتأثير بعض المواد التي تُفرَز من الكبد والتي لا تحتملها الكلى، على حد قوله، فتسبب إدرار البول بكثرة، كما جعل فقد رطوبة الجسم مسببًا للمرض. أما الجزء الثالث فيتحدث فيه عن علاج داء السكري، بتنظيم الغذاء وزيادة الألياف فيه، حيث أوصى بالخيار والفواكه والمواد القابضة التي تقلل من إدرار البول، كما أوصى بالتمارين الرياضية. وقام بتركيب خلطات لعلاج السكري من الطباشير والبرباريس والورد وبذور القطن تُعجن بماء الخيار أو بماء سويق الشعير. كما أبرز أهمية الراحة النفسية والاسترخاء في العلاج.[24]

• علاء الدين أبو الحسن علي بن أبي الحزم القرشي الدمشقي

وهو المعروف بابن النفيس، ولد في عام 1215م. درس الطب في البيمارستان النوري الكبير في دمشق، وكان طبيبًا بارعًا وكحّالًا متميزًا، وله شهرة لا مثيل لها في الطب، ولقد قيل عنه «وأما في الطب فلم يكن على وجه الأرض مثله في زمانه، أو جاء بعد ابن سينا مثله». رحل إلى القاهرة، وعمل فيها طبيبًا ومدرسًا إلى أن تولى رئاسة الأطباء في البيمارستان. وعرف عنه بأنه عالم موسوعي واسع الاطلاع، غزير المعرفة، خصب الإنتاج، فهو فيلسوف ولغوي وفقيه. وقد اتبع منهجًا خاصًا، فبنى نظرياته على المشاهدات والتجارب والخبرات العلمية، وكان لاكتشافاته الطبية المهمة دورٌ في تطور الطب في عصره وما تلاه من عصور، وكان من أهمها اكتشافه للدورة الدموية الرئوية. إلا أنه فُقد العديد من مؤلفات ابن النّفيس بعد احتلال المغول لبغداد وتدمير مكتباتها.

ألف كتابه **الموجز في الطّب** كمختصر لكتاب **القانون في الطّب** لابن سينا، وكان القسم الأول عن القواعد العلميّة والنظريّة للطّب، أما القسم الثاني فعن الأدوية والأغذية، والقسم الثالث كتب فيه عن الأمراض المتعلّقة بأعضاء الجسم وأسبابها وعلاماتها، وطرق علاجها. أما القسم الرّابع فيذكر فيه الأمراض التي لا تتعلّق بعضو معين. ولم يزد ابن النفيس في كتابه سوى القليل إلى ما توصل اليه ابن سينا حول داء السكري. وبرع في علوم الأغذية فألّف كتابه **المختار في الأغذية**، حيث فصّل في الغذاء الصحي، ويُشهد له أنه أول من تحدّث عن ضرورة الاعتدال في تناول الملح.[25]

3-6-2 الحضارة الإسلامية في المغرب

بدأت الحضارة الإسلامية في المغرب الإسلامي بعد فتح الأندلس ووصول الإسلام إليها وإلى الشمال والشمال الغربي لإفريقية، فقامت الدول والممالك المختلفة خلال 781 سنة إلى أن سقطت الأندلس وانحسرت الحضارة الإسلامية. وقد تميزت مهنة الطب في حضارة المغرب الإسلامي بالأخذ بنظام التخصص في الطب وعدم السماح بممارسته إلا بعد اجتياز امتحان في كتب متخصصة تفتح آفاق هؤلاء الطلبة على الثقافة الطبية النظرية والعملية. واهتم العلماء والأطباء المسلمون في هذه المنطقة بعلم التشريح، وصار أساسًا لكل فروع الطب لفهم وظائف الأعضاء. كما برعوا في إجراء العمليات الجراحية واستخدام أمعاء القطط والحيوانات الأخرى في خيط الجروح. واهتم أطباء الأندلس بالصيدلة بوصفها علمًا مستقلًا له قواعده وفروعه ومناهجه العلمية القائمة على المشاهدة والتجربة من خلال علم «الأقرباذين»، وإخضاع مهنة الصيدلة لنظام الحسبة لتفادى غش الأدوية والاتّجار فيها.

ولقد حظي داء السكري بنصيب وافر من التوثيق والرصد خلال هذه الفترة المزدهرة من الحضارة الإسلامية، كما عُرف آنذاك العديد من الأمراض كالجدري ودودة الإنكلستوما وسرطان المعدة وغيرها كثير. وبرز في مجال السكري العديد من الأطباء كان من أهمهم ما يلي.

- **عبد الملك بن زهر بن عبد الملك بن محمد بن مروان**

يكنى «أبو مروان»، وهو طبيب نطاسي مسلم معروف في الأندلس، من أهل إشبيلية. ويعود نسبه إلى أسرةٍ من علماء المسلمين نشأت في الأندلس وعائلة عريقة في الطب، فقد كان والده أبو العلاء طبيبًا ماهرًا في التشخيص والعلاج، وكان جده طبيبًا أيضًا. وكان لمؤلفاته أثرٌ كبير في تطور الطب في أوروبا بعد أن تُرجمت مؤلفاته إلى اللاتينية، ككتاب **التيسير في المداواة والتدبير**، وقد برع في وصف التهاب الغشاء المحيط بالقلب، وأساليب استخراج الحصوة الكُلوية، وذكر خبرته في تشخيص وعلاج مرضى السكري.

كان ابن زهر صديقًا ومعاصرًا للطبيب العربي ابن رشد الذي شجّعه على كتاب **التيسير في المداواة والتدبير** الذي يصف الأدوية والأنظمة الغذائية والأوصاف السريرية للأمراض.

رحل إلى الشرق وطبّب في القيروان ومصر، ثم عاد إلى مدينة دانية في الأندلس، واشتهر بممارسة صناعة الطب وطار ذكره منها إلى أقطار الأندلس بأسرها. وكان له باع في علوم التغذية من خلال كتابه **الأغذية** وهو كتاب يحتوي على معلومات وافرة وغنية عن الأعشاب والنباتات الطبية واللحوم والأسماك والحليب والعسل وعلاج لبعض الأمراض المعروفة قديمًا كان أحدها السكري لانتشاره الكبير. ويقال إن ابن زهر كان مغرمًا بتناول التين والعسل والحلويات التي اشتُهرت فيها الأندلس. وقد أصيب بالسكري ومات بسبب تقرح الجلد نتيجة الغرغرينا. ولعل والدَه أبا العلاء، وهو طبيب مشهور كذلك، قد مات بالمرض نفسه، ما يؤكد ذلك انتشار داء السكري خلال الفترة الأندلسية.[26]

- **عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الإشبيلي**

المعروف بابن خَلْدُون، عاش في الفترة 1332-1406م، ولد في تونس، وتخرّج في جامعة الزيتونة، ومن أشهر كتبه **كِتاب العِبر وديوان المُبتدأ والخَبر في مَعرِفة أيام العَرب والعَجم والبَربر وَمَن عاصَرهُم من ذَوي السُلطان الأكبر** المَعروف بـ «تاريخ ابن خلدون». وترك تراثًا ما زال تأثيره ممتدًا حتى اليوم. ويعتبر ابنُ خَلدون مؤسسَ علم الاجتماع الحديث، ومن علماء التاريخ والاقتصاد. وقد كتب في طب الحضر وطب البادية، حيث ذكر في **المقدمة** ما يلي: «وأما أهل البدو فمأكولهم قليل في الغالب والجوع غلب عليهم لقلة الحبوب، حتى صار لهم عادة [...] أما أهويتهم فقليلة العفن، لقلة الرطوبات والعفونات [...] ثم إن الرياضة موجودة فيهم من كثيرة الحركة في ركض الخيل أو الصيد أو طلب الحاجات أو مهنة أنفسهم في حاجاتهم [...] فتكون أمزجتهم أصلح وأبعد عن الأمراض، فتقل حاجتهم إلى الطب. ووقوع هذه الأمراض في أهل الحضر والأمصار أكثر، لخصب عيشهم، وكثرة مآكلهم، وقلة اقتصارهم على نوع واحد من الأغذية، وعدم توقيتهم لتناولها، وأما أهل البدو فمأكولهم قليل في الغالب والجوع غلب عليهم لقلة الحبوب، حتى صار لهم عادة». ولم يفصّل أحد من قبل في دور علم الاجتماع في الحالة الصحية للشعوب، وإبراز دور الحضارة في الإصابة بالأمراض وعلى رأسها السكري كما وصف ذلك ابن خلدون.

- **موسى بن ميمون القرطبي**

هو الفيلسوف والطبيب اليهودي الأندلسي موسى بن ميمون (ت. 1204م). كتب عشرة أعمال طبية باللغة العربية، وصف فيها حالات الربو، ومرض السكري وما ينتج منه، وله كتابات حول التهاب الكبد والالتهاب الرئوي. كانت الأندلس موطن موسى بن ميمون، وكان أحد أعظم الأطباء في التاريخ الإسلامي، إلا أنه في آخر عمره انتقل إلى مصر وذُكر أنه صادف 20 مريضًا بالسكري خلال عقد من الزمان فيها، وهو عدد كبير على نحو مثير للقلق بالنسبة إليه، ما دفعه إلى التكهن بأنه قد يكون داء السكري أكثر انتشارًا في البلدان الأكثر دفئًا أو أن «مياه النيل بسبب حلاوتها، لعبت دورًا في ذلك».[27] ونصح بالاعتدال في الأكل واتباع أسلوب الحياة الصحي، والاعتناء بدفء الجسد الطبيعي قبل أي شيء آخر، وأكثر ما يمكنه تأمين هذا الدفء هو التمارين البدنية المناسبة لكل من الجسد والروح. ووصف للمسنّين المشي يوميًا، إضافة إلى حديثه عن ضرورة التدليك الدائم كوسيلة لتحفيز حرارة الجسد ومن ثم الوقاية من الأمراض.

3-6-3 الخلافة العثمانية

أولت الدولة العثمانية الجانب الصحي للمجتمع باهتمام خاص منذ عام 1838م، وقد برز ذلك من خلال تطبيق نظام الحجر الصحي، ثم نشرت الدولة العثمانية أول نظام يتعلق بالصحة العامة وإدارتها في العاصمة إسطنبول وفي بقية الولايات العثمانية على حد سواء، وهو نظام الإدارة العمومية الطبية الذي نص على توجه الدولة العثمانية واهتمامها بمجمل الأوضاع الصحية.[28]

تعتبر متلازمة التمثيل الغذائي (Metabolic Syndrome) من الأمراض الأيضية المسببة للسمنة والسكري والناجمة عن النظام الغذائي الغني بالسكريات والدهون والخمول. ولقد وثّق الأرشيف الصحي العثماني إصابة العديد من السلاطين العثمانيين وأفراد عديدون من رعاياها بهذه المتلازمة منذ عام 1258م حتى سقوط الخلافة العثمانية عام 1922م. كما وثق الأرشيف العثماني الطبي ارتباط المتلازمة بالسكري وأمراض القلب الوعائية وارتفاع ضغط الدم والنقرس، ووصف الأطباء تعديل أسلوب الحياة في منع الإصابة بمتلازمة التمثيل الغذائي وكذلك زيادة النشاط البدني.[29]

4- المناقشة

تميز داء السكري بأنه وُجد منذ وجود الإنسان عبر العصور، فوضع بصمته في جميع الحضارات، وخصوصًا عند ازدهارها؛ لذلك فإنه من الممكن من خلال رصده عكس الحالة الصحية للأمم القديمة، والحالة الثقافية والعلمية التي تمتعت بها. كما أنه وسيلة قياس للمستوى الطبي الذي وصلت إليه من خلال الأطباء والعلماء الذين برزوا في تلك الحضارات، بغضّ النظر عن مكانتها المادية والثقافية والدينية.

إن هذه الدراسة، وبالمعايير التي اختارت بها الحضارات، خلال أربعة

آلاف سنة، تجعل من الممكن مقارنة الحضارات بصورة دقيقة ومحايدة. ولا بد من التأكيد هنا أن المعرفة الإنسانية تراكمية، فتستفيد كل حضارة من الحضارات التي سبقتها، ولذلك فإن مقارنة الحضارات بما تمتلكه من علم وممارسات في شأن محدد كداء السكري، يخفف من أثر التراكم الحضاري ويعطي انطباعًا أدق في إجراء المقارنات بين هذه الحضارات (انظر الجدول رقم 1).

وأوضحت هذه الدراسة تفوق الحضارة الإسلامية على باقي الحضارات التي سبقتها، أو زامنتها؛ إذ قدمت للبشرية في 1300 سنة ما عجزت أن تقدّمه باقي الحضارات خلال 2700 سنة، فضلًا عن أنها مزجت مهنة الطب بالأخلاق، والقيم، ووضعت معايير لأخلاق الأطباء، ومهنة الصيدلة ولم تتركها للمشعوذين، أو طمع الأطباء، كما هي الحال في الحضارات الأخرى. وأيضًا قنّنت الحضارة الإسلامية مهنة الطب، وقصرتها على من درسه في المؤسسات والجامعات والمارستانات التي أنشأتها، وإن كانت بعض الحضارات الأخرى كالرومانية قد فعلت بصورة محدودة شيئًا من هذا.

إن الناتج العلمي لأي حضارة سابقة، يقاس بما تركته بعدها. ومن يرصد المؤلفات والآثار الطبية التي تركتها الحضارة الإسلامية لا يشك في تفوقها، ليس بعدد الأطباء الذي فاق جميع الحضارات السابقة لها فقط، بل حتى المستوى العلمي، ويكفي أن نعلم أن مؤلفات أطباء الحضارة الإسلامية فاقت كل الحضارات، كما هو واضح فيما تركته الحضارة الإسلامية عن السكري، كما أنها لا تزال مرجعًا علميًا في مجالها حتى يومنا هذا، وخير مثال على ذلك ابن سينا وابن خلدون.

وبنظرة سريعة على ما حملته هذه الدراسة حول تاريخ السكري، فإن العلماء والأطباء الذين عاشوا في العصر الإسلامي قدّموا لنا الأساس الذي بنى فيه العلماء والأطباء المعاصرون اكتشافاتهم وطرق التعامل مع المرض والمريض، ليس من الناحية الإكلينيكية والأخلاقية فحسب، بل كذلك من الناحية التجريبية والبحثية.

ويبقى أن نذكر أن هذه الدراسة لم تشمل العديد من الحضارات التي لم تنطبق عليها معايير الدراسة، وأن تعدد الأسماء التي أطلقت على داء السكري، والاعتماد على أعراض المرض في هذا البحث التاريخي، قد يحدان من الوصول إلى مواد تراثية ذات قيمة علمية. إلا أن ما يميز هذه الدراسة محدودية البحث في مرض واحد، ومن خلال حضارات محددة حملت تراثًا كافيًا للبحث.

جدول ١: مساهمات الحضارات الست محل الدراسة في التعرف على داء السكري وأسبابه وأنواعه ومضاعفاته وطرق تشخيصه وعلاجه.

اسم الحضارة	الحضارة الفرعونية (332-3100 ق. م.)			الحضارة الهندية (حضارة هارابا/ هارابان) (3000 ق. م.– 1000م)		الحضارة اليونانية (223-1200 ق. م.)	الحضارة الرومانية (625 ق. م.– 1453م)	الحضارة الصينية (221 ق. م. -1644م)	الحضارة الإسلامية (662–1922م)	
	الدولة القديمة (2580-2130 ق. م.)	الدولة الوسطى (2000-1630 ق. م.)	الدولة الحديثة (1540-1080 ق. م.)	المنطقة الشماليّة (3000-500 ق. م.)	المنطقة الجنوبيّة (500 ق. م.-1000م)				الشرقية 622-1922 م	الغربية 711- 1492 م
الفترة الزمنية	450 سنة	370 سنة	460 سنة	2500 سنة	1500 سنة	977 سنة	2078 سنة	1865 سنة	1300 سنة	781 سنة
الموقع الجغرافي والمسميات التاريخية	الشمال الشرقي لأفريقيا على ثلاث مراحل هي: الدولة القديمة: الأسر 3-6 (حوالي 2690-2180 ق. م.) الدولة الوسطى: الأسر 11-14 (حوالي 2060-1710 ق. م.) الدولة الحديثة: الأسر 18-20 (حوالي 1580-1085 ق. م.)، ومدت سيادتها على شمال سوريا وبلاد النهرين			وادي السند حصرًا، وتسمّى بـ (ثقافة هرّابا) نسبة الى مدينة (هرّابا) الواقعة في وادي السند، بباكستان الحالية؛ وتسمّى عمومًا بحضارة وادي السند أو الحضارة السندية		اليونان وجزر بحر إيجة، جنوب شرق البحر الأبيض المتوسط وجزره، وصولًا إلى مصر وسوريا وفلسطين والأردن	بدأت من روما لتشمل معظم قارة أوروبا، آسيا الصغرى، شمال أفريقيا، دول البلقان، أجزاء من بلاد ما بين النهرين	المنطقة الواقعة في شرق آسيا وعلى طول خطّ قرى النهر الأصفر ونهر يانغتسي، وهو مهد الحضارة الصينية	جزيرة العرب والشام والعراق ومصر وآسيا الوسطى ودول وسط وجنوب شرق آسيا (باكستان، أفغانستان، بنغلاديش، إندونيسيا، ماليزيا)	الأندلس ودول شمال وشمال غرب أفريقيا (الجزائر وتونس والمغرب) ووسط وغرب أفريقيا (موريتانيا ومالي وتشاد)
النظام الصحي	كان معظم المعالجين كهنة يعتقدون أن الأرواح تسد قنوات الجسم، وأن هذا يؤثر في طريقة عمل الأعضاء. وقد بحثوا عن طرق لعلاج الأمراض فاستخدموا مزيجًا من الطقوس العبادية والصلوات، إضافة إلى العلاجات الطبيعية. إلا أنه مع مرور الوقت ظهرت مهنة الطب المصري القديم من خلال الممارسات الفردية، ولعل من أهمها مهارتهم في التحنيط			ربط الهنود القدماء أمراض الجسم بالغضب الإلهي. وتطور الطب من العصر السحري الديني الى طب الأيورفيدا المنهجي الملتزم بالمعايير الأخلاقية الصارمة، وأنتج أطباء ماهرين في الطب والجراحة		تُقدّم الرعاية العقلية والجسدية بالتوازي، وقد وضع أبقراط حجر الأساس للطب وتصنيف الأمراض ومعايير تشخيصها والوقاية منها	استفادوا من الحضارة المصرية واليونانية، فشيدوا مستشفيات لعلاج العبيد والجنود. وأعد الأطباء قائمة الأدوية والنظام الغذائي، وإدارة المستشفيات	صنف الأطباء إلى خمسة: الأطباء الرئيسيون، وأطباء من أجل الغذاء، وأطباء الأمراض البسيطة، وأطباء القرحة أو الجراحون، والأطباء البيطريون	كان أول ممرضة في العالم الإسلامي زمن النبي صلى الله عليه وسلم عام 624م، وتم بناء أول مستشفى في القاهرة عام 872م، ثم في بغداد الذي احتوى على 24 طبيبًا. وفي عام 1000م كان هنالك ما لا يقل عن 30 مستشفى في جميع أنحاء العالم الإسلامي، فتأسست مهنة الطب وممارستها كحرفة وعلم وتنظيم، وامتد العمل بها والتدرب على أصولها وفروعها حتى نهاية الدولة العثمانية	

أسماء الأطباء	حسي رع من الأسرة الفرعونية الثالثة: كاتب بردية إيبرس (Ebers Papyrus)	ساسروتا: (ساسروتا سامهيتا) شاراكا: (ساراكا سامهيتا)	أولوس سيلسوس ديميتريوس روفوس من أفسس	جالنيوس أراتيوس	تشانغ تشونغ تشينغ لي هسوان	محمد بن يحيى الرازي الحسين بن عبد الله بن سينا عبد اللطيف البغدادي علاء الدين أبو الحسن القرشي	عبد الملك بن زهر عبد الرحمن بن خلدون موسى بن ميمون القرطبي
مسمى المرض	عطش النساء	البول العسلي	دايابيتس (diabetes) الإسهال البولي	دايابيتس (diabetes) الإسهال البولي	البول الحلو	ديانيطس، دياسقومس، قراميس الدوارة أو الدولاب	
أسباب الإصابة	الأرواح الشريرة في عهد الدولة القديمة، والإفراط في الشرب في عهد الدولة الوسطى والحديثة	الغضب الإلهي، والإفراط في استهلاك الأرز والحبوب والحلويات	غير معروف	عطل في وظائف الكلى	تنتج الأطعمة الدهنية والحلوة الحرارة الجافة فتضر الرئة والمعدة والكلى	زيادة الأكل والشرب وقلة الحركة وتغير نمط الحياة	
أنواع الإصابة	اعتبرت هذه الحضارة السكري نوعًا واحدًا مرتبطًا بالأعراض فقط. وكشفت دراسات المومياء الفرعونية إصابة حتشبسوت بالنوع الثاني من السكري، في حين أصيب أخناتون الثامن عشر بالسكري الثنائي المصاحب لمرض العملقة	نوعان، أحدهما يصيب الكبار وأصحاب الأوزان الكبيرة، والآخر يصيب صغار السن نسبيًا من أصحاب الأجسام والبنية الضعيفة	من خلال وصف الأطباء اليونانيين القدماء لحالات السكري يتضح أنه لا يوجد تصنيف لهذا الداء	لا يوجد أي تصنيف لداء السكري، بل نظروا إليه على أنه صنف واحد لمختلف الأعمار	لم يحدد الصينيون القدماء أنواعًا للسكري بل جعلوا الأعراض تصنيفًا للمرض.	تعاملت مع جميع أنواع داء السكري على أنها نوع واحد إلى أن ظهرت متلازمة التمثيل الغذائي خلال الخلافة العثمانية.	
مضاعفات الداء	من خلال فحص المومياوات: اعتلالات الشرايين ومفصل شاركوت	لا يوجد	قلة الإحساس بالألم والضعف العام	لا يوجد	الإصابة بالدمامل والتهابات الرئة	الضعف الجنسي، والقلق النفسي، وغرغرينا في القدم، وأمراض القلب الوعائية	
طريقة التشخيص	لا توجد	تجمّع النمل والذباب على البول	لا توجد	لا توجد	لا توجد	تجمع النمل على البول	لا توجد
طريقة العلاج	غير معروف	النشاط البدني وتنظيم الغذاء	النظام الغذائي وممارسة النشاط البدني وأخلاط غذائية، والحمام البارد	خليط مقدس مكون من العديد من المواد الغذائية والبهارات والأملاح	تجنب الجنس والنبيذ	الحجامة والأعشاب والحمية الغذائية والنشاط البدني، إضافة إلى الحمامات الساخنة والباردة	

المراجع

1. التويجرى، عبد العزيز بن عثمان. الحضارة الإسلامية وآفاق المستقبل، الطبعة الثانية. الرباط: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، 2015.
2. على، محمد نور موسى و البر، محمد موسى محمد أحمد. قراءة في الحضارة الإسلامية: دراسة في معانيها وآثارها المعنوية والمادية، الطبعة الأولى. المنهل، 2017.
3. Medvei VC. The history of clinical endocrinology: A comprehensive account of endocrinology from earliest times to the present day. New York: The Parthenon Publishing Group; 1993.
4. Karamanou M, Protogerou A, Tsoucalas G, Androutsos G, Poulakou-Rebelakou E. Milestones in the history of diabetes mellitus: The main contributors. World Journal of Diabetes. 2016;7(1):1–7.
5. Wilford JN. Tooth may have solved mummy mystery. New York Times. June 27, 2007.
6. Dupras TL, Williams LJ, Willems H, Peeters C. Pathological skeletal remains from ancient Egypt: The earliest case of diabetes mellitus? Practical Diabetes International. 2010;27(8):358–363.
7. حسين، عبد الله. **المسألة الهندية**. القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012.
8. Saini A. Physicians of ancient India. Journal of Family Medicine and Primary Care. 2016;5:254–258.
9. Cumston CG. An introduction to the history of medicine: From the time of the pharaohs to the end of the XVIIIth century. 1st ed. London: Dawsons of Pall Mall; 1926.
10. Bhattacharya S. Sushrutha – Our proud heritage. Indian Journal of Plastic Surgery. 2009;42(2):223–225.
11. Spencer WG. Celsus: De Medicina, English translation. London: Heinemann; 1938.
12 Jones WHS. Hippocrates collected works I. Cambridge: Harvard University Press; 1868.
13. Mavroudis AD. Diabetes mellitus in ancient Greek medical writings Aretaeus of Cappadocia, “On the causes and symptoms

20. Zajac J, Shrestha A, Patel P, Poretsky L. The main events in the history of diabetes mellitus. In: Poretsky L, editor. Principles of diabetes mellitus. New York: Springer Science; 2010. pp. 3–16.
21. هونكه، زيغريد. شمس العرب تسطع على الغرب. بيروت: دار صادر، 2012
22. Hajar R. Al-Razi: Physician for all seasons. Heart Views. 2005;6(1):39–43.
23. ابن سينا، الحسين بن عبد الله. القانون في الطب، 1020م.
24. شحادة، عبد الكريم، تاريخ التراث الطبي العربي الإسلامي. بيروت: أكاديميا انترناشونال، 2005
https://drive.google.com/file/d/1LOfWFuODKlAHzfOf2qvlGWF_tFXIEmdM/view
25. West JB. Ibn al-Nafis, the pulmonary circulation, and the Islamic golden age. Journal of Applied Physiology. 2008;105(6):1877–1880.
26. Azar H. The sage of Seville: Ibn Zuhr, his time, and his medical legacy. Cairo: American University of Cairo Press; 2008.
27. Rosner F. The medical legacy of Moses Maimonides. Jersey City, NJ: KTAV Publishing House; 1998.
28. حميدى، قيس أحمد. النظام الصحي والإغاثي في الدولة العثمانية. مجلة الجامعة العراقية، العدد 50 ج1. أبريل 2021.
29. Son N, Son O. Eating habits of Ottoman sultans and its relation with the metabolic syndrome. International Ayurvedic Medical Journal. 2015;3(4):986–994.

of acute and chronic diseases 2.2". Hellenic Diabetological Chronicles. 2018;31(2):63–65.
14. Christopoulou-Aletra H, Papavramidou N. 'Diabetes' as described by Byzantine writers from the fourth to the ninth century AD: The Graeco-Roman influence. Diabetologia. 2008;51:892–896.
15. Adams F. The extant works of Aretaeus, the Cappadocian. Primary source edition (Greek edition). London: Sydenham Society; 1923.
16. Lakhtakia R. The history of diabetes mellitus. Sultan Qaboos University Medical Journal. 2013;13(3):368–370.
17. Adams F. The seven books of Paulus Aegineta. Vol. 1. London: Sydenham Society; 1844.
18. Ni M. The yellow emperor's classic of medicine: A new translation of the Neijing Suwen with commentary. Boston: Shambhala Publications; 1995.
19. Ujii, Ryōsaku, Zhongjing Zhang, and Sadahiro Suzuki. Kinki yōryaku kokujikai. Kōfu [Edo: Suhara Mohē ... [and 6 others], 1780. Print. https://catalog.nlm.nih.gov/discovery/fulldisplay?docid=alma9911799153406676&context=L&vid=01NLM_INST:01NLM_INST&lang=en&search_scope=MyInstitution&adaptor=Local%20Search%20Engine&tab=LibraryCatalog&query=any,contains,9911799153406676&sort-by=date_d&facet=frbrgroupid,include,9042990017592538045&off